فى الأدب

فجر

لاح الفجر ، أو قل بدأ الفجر يلوح . . .

فتلك خطوط النور يرسمها إشراق الصباح فى صفحة الأفق ؛ وتلك لمة الليل الذاهب تشتمل مبيضة ، وتلك الجماعات من الزهر تغور فى أماكنها وتتوارى بحجاب من نور الصباح الذى طلع عليها وغض من جمالها وأطفأ بريقها ؛ وتلك جوانب السماء تضحك كأنما كان خط النور الأول ابتسامة افتر عنها ثغرها ، ثم صفا أثرها وانتشرت على الأديم كله .

ارتفع لثام الظلام عن جبين السماء فأضاءت ، وطلع من ناحية الشرق نور يخطف البصر ويفتح للعين آفاق التفكير وللعقل سابح الخيال ؛ فكلما استغرق فيه المتأمل كلما بلغ الجمال قرارة نفسه ، وكلما أطال النظر كلما استجم عليه الخيال ، وكلما التمس أن يصف ما يشهد كلما استشعر العجز والقصور كأنما كانت معانى هذا الجمال فوق مدلول الألفاظ كما كان إدراك كنهها فوق طاقة العقول ومقدور الأفهام .

وأصبح بعد ذلك الصبح ، وامحت من الوجود آثار الليل ؛ ولبست السماء حلة زرقاء لا وشى فيها ؛ وأخرجت الطيور الصغيرة رءوسها السوداء من أعشاشها وغردت فحمل النسيم تغريدها إلى أذن المتأمل ، وامتزج التغريد بأرج الزهور فبعث السحر فى نفسه ؛ وبدت الأعشاب الخضراء ندية لما نقطه عليها الليل من قطرات الطل ؛ واصطبغ الشرق بألوان لم ترسمها ريشة مصور ، ولم تنتجها عبقرية فنان وإنما صنعها من لون الورد وصبغ الزهر وجمال الشمس والقمر .

وكانت بعد ذلك فترة كأنما أخذ الكون فيها سحر ألوان الشرق ؛ حتى ظهر القرص الأحمر من الأديم الأبيض ، وحيا العالم بابتسامة الأشراق ومضى فى السماء .

* * *

وقفت أرقبك يا فجر ، وأرقب قطع الليل الذى سبقك ؛ فمددت نحو السماء طرفى فرأيت

جموع النجوم تتلألأ ، فأرهفت حسي أستوحيها فكرة او استلهمها معنى ، تخيل إلى أنى أسمع فيما بينها همسا ، فعجبت بأى لغة تتناجى وبأى لسان تتهامس ! وأمعنت فى التأمل على أسمع كلمة من هذا الحديث ، فلم يظفر بشيء من ذلك حسي ، فقلت فى نفسي ، علها تسبح الله تسبيحا خفيا لا يعلمه إلا هو ، ونبهت خيالى إذ ذاك رنح حقيقة ذكرتنى قول سفيان الثورى : « إن الله تبارك وتعالى خلق ريحا تهب بالأسحار تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار » فقلت فى نفسي : بالله . إن لله عبادا هجروا تحت جنح الليل مراقدهم ، ووقفوا فى محاربهم يرسلون الدموع شوقا إلى الله وإشفاقا منه ، لم تفتنهم لذة الفانية ، فآثروا عليها الباقية ، ذكروا يوم الوعيد وما وراء الموت من مجاهل وظلمات ، فهرب النوم من أجفانهم عملا بحديث سيدنا محمد رسول الله لرجل من أصحابه : « يا فلان لا تكثر النوم بالليل ، فأن كثرة النوم بالليل يدع صاحبه فقيرا يوم القيامة » فهم ما بين راكع وساجد وقانت ومستغفر حتى يطلع عليهم الفجر ، وهؤلاء الذين عناهم أبو سليمان الدارانى بقوله : « أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء » فذكرت حديث رب العزة : « كذب من ادعى محبتى وإذا أجنه الليل نام عنى ، أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ، ها أنذا مطلع على أحبائى ، إذا أجنهم الليل جعلت أبصارهم فى قلوبهم ، ومثلت نفسى بين أعينهم تخاطبونى على المشاهدة وكلمونى على الحضور » .

ثم رفعت بصرى إلى السماء فرأيت خط النور قد اعترض الأفق فعلمت أن قد لاح الفجر

محمود عيسى عبده

لفتات

لفتات ظبي كلما ... مرت به عيني استتر
أمشي وراء دياره ... يوما ويوما لم أمر
فتراه عند تغيبي ... فى ذلك اليوم انتظر
أدمى وأدمى قلبه ... لما درى لم يصطبر
بل ساءنى بكلامه ... فى صفحة كانت عبر
دونتها فى مهجتى ... وقرأتها بالمستتر
فوجدت ما فيها بما ... تبتى بدمع منهمر
ويقول وقوفى الرعا ... ية بالوصال المستمر
كيف الوصال وأنت تمـ ... ـنع أعينى منك النظر؟

رمضان الصادق حسن
مدرس بمدرسة كفر الزيات

للذكرى

أمير الشعراء فى حياته الخاصة (١)

نسب شوقي (١) : —

يتصل نسب شوقى لأبيه كما يتصل نسب العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا بالأكراد فالعرب . . .

فلقد هبط جداهما مصر ، وهما صبيان ، يحملان وصاة من أحمد باشا الجزار — والى عكا — إلى المغفور له محمد على باشا — والى مصر — فأكرم وفادتهما وضمهما إلى حاشيته ، لما أبدياه من جدة ونشاط ، وأبانا عنه من ذكاء ومضاء . . .

ولما كان جد شوقى رحمه الله يحسن كتابة العربية والتركية ، خطاً وإنشاء فقد أدخله الوالى فى معيته ، فبقى رحمه الله على تداول الأيام ، وتعاقب الولاة الفخام ، وهو يتقلد المراتب العالية ، ويتقلب فى المناصب السامية : إلى أن أقامه المغفور له محمد سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية فلم يفرق بينه وبينها سوى الأجل المحتوم ، والواقع الذى ليس له من دافع . .

أما جده لوالدته فقد كان تركى الجنس ، يدعى أحمد بك النجده لى نسبة إلى (نجـدة) إحدى قرى الأناضول ، وفد على هذه البلاد فتياً كذلك فاستخدمه والى مصر إبراهيم باشا فى حكومته . ثم زوجه بمعشوقته (تمراز) وكانت يونانية اشترتها الحملة المصرية من بلاد المورة وهى فى العاشرة من عمرها — أسير حرب لا شراء — فنشأت فى القصر العلوى مترفة كأتم ما يكون الترف ، منعمة أوفر نعيم ، حتى توفى بعلها (جد شوقى) وهو وكيل الخاصة فى عهد الخديوى أسمعيل باشا ، فأمر رحمه الله بنقل راتبه برمته إلى أرملته على أن يحسب ذلك معاشاً لا إحساناً . . .

(١) من حديث للفقيد مع رئيس المجمع العلمى بدمشق ...

فهو إذن كما يرى فى شرقياته (عربى — تركى — يونانى — جركسى بجدته لأبيه — أصول أربعة . فى فرع مجتمعة)

حياة شوقى : —

ولد رحمه الله بمصر القاهرة ، فى بيت عزة ونعمة ، سنة ١٨٦٨ م — أى قبل ميلاد حافظ بنحو أربعة أعوام — فلما كاد يبلغ الرابعة من عمره حتى دفع به ذووه إلى مكتب الشيخ صالح فى حى من أحياء القاهرة ، ومنه انتقل إلى المدرسة الابتدائية (بالمبتديان) فالثانوية (بدرب الجماميز) .

ثم التحق على أثر ذلك — إجابة لرغبة والده — بمدرسة الحقوق فدرس بها شيئاً من الشرائع والقوانين ، فى عاميه الأولين ثم فن الترجمة فى الثانيين . .

وقد كان برفقة شوقى من تلاميذها فى ذلك المعهد كل من أصحاب السعادة والعزة ، المغفور له أحمد زكى باشا ، وعثمان مرتضى باشا ، ثم أبو بكر يحيى باشا ، فعلى ثاقب باشا ، فشاكر بك أحمد . .

أما ناظرها فقد كان المغفور له (فيدال باشا) ووكيلها يحيى بك ابراهيم (يحيى باشا الآن)

وقد كان شوقى — على ما حدثنا شيخ العروبة — ينظم فى خلال دراسته كثيراً من القصائد ، ولا سيما عند حلول المواسم ، وإطلال الأعياد ، فى مدح الخديوى ، فكانت تصادف فى نفوس قرائها وأهوائهم ، مالا تصادفه قصائد أستاذه المغفور له الشيخ محمد البسيونى البيبانى أحد علماء الأزهر المعدودين فى حينها ، من حيث دقة الاحساس ، وعصرية الروح ، ووفرة التخيل ، وروعة الأسلوب ، زيادة على طرافة المعنى ، وامتزاجه بالقلب ، حتى لقد دفع بالشيخ إعجابه بتلميذه ، وافتتانه بأدبه ، والثقة به إلى أن يعرض قصائده عليه قبل أن يرسلها إلى المطبعة السنية ، فإلى جريدة (الوقائع المصرية) أو غيرها من الصحف العربية التى كانت تصدر فى حينها ، فكان شوقى — بساطة التلميذ الناشىء — يشير بمحو هذه الكلمة ، وتصحيح تلك القافية وحذف هذا البيت ، وتعديل ذيالك الشطر ، والأستاذ يغتبط بقوله ، وينزل على رأيه ، مذعنا لرغباته ، ومؤيداً لملاحظاته . . .

على أن الأستاذ البسيونى لم يكتف بذلك ، بل تحدث بهذا النبوغ الباكر إلى صاحب العرش ، وأفهمه أن بين أثواب الصغير (أحمد شوقى) براعة نادرة ، وذكاء وألمعية وأنه خليق برعايته العالية ليكون زهرة يتضوع شذاها فى مشارق الأرض ومغاربها ، فكانت

هذه الشهادة من أكبر الأسباب التى حفزت الخديوى توفيق إلى إرسال شوقى على نفقته الخاصة سنة ١٨٨٧ م لإتمام دراسته العلمية فى باريس وتغذية مواهبه الغريزية بما يراه فى مدينة النور من روائع البدائع ، وفاتن المشاهد . . .

وقد شاء الله فتحققت له فى شاعره الآمال ، وأصبح شوقى طالب (الحقوق) أميرا لشعراء العربية ، له فى مليكه وفى آل بيته ، ما لأبى الطيب فى سيف الدولة ؛ أو لحسان فى المصطفى ، أو زهير ابن أبى سلمى فى هرم بن سنان . .

عاد شوقى إلى مصر سنة ١٨٩٢ م يحمل بيمينه إمارة الشعر ، وبشماله شهادة الحقوق والآداب الفرنسية ، فما كان من خديوى مصر فى حينها عباس حلمى الثانى ، إلا أن أصدر أمره بتعيينه رئيساً للقلم الافرنجى فى ديوانه ، فظل شوقى فى ذلك المنصب حتى نشوب الحرب العالمية ، وحتى الحيلولة بين مولاه ، والعودة إلى وطنه ومستقر ملكه . . .

أحمد عبد الله طعيمة
مدرس بمجلس مديرية المنيا

آكل القرض ...

أتانى آكل القرض   فقلت له : أذا برضى !!
أرى الطامع فى مالى   كمن يطمع فى عرضى
فلا أوليه من نفسى   سوى التحقير والبغض
ولا أغضى عن القبح   وما مثلى من يغضى
وإن زادت مظالمه   يوارى باطن الأرض
فيامن تبغ من عرضى   عار قرعي العض
فهل أنت فى مجرى   من الظلم الذى يقضى
فإن ترجع تراجعنا   وإن تنقض فللنقض

شبرا النملة   ع . سلام